مفهوم إختلاف الأمم في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

الإسم الاول

طه حسين ثامر

Taha Hussein Thamer

tahaalzaidi3@gmail.com

اللقب العلمي الحالي / مدرس مساعد

موظف على وزارة التربية مديرية تربية الأنبار

الإسم الثاني

أحمد خميس مطر

Ahmed Khamees Mutr

ahmdkhmysmtr22@gmail.com

اللقب العلمي / مدرس مساعد

موظف على وزارة التربية مديرية تربية الأنبار

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 5 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

الملخص

ان الأمة هي المجال الحيوي لإرساء قواعد المثالية الإسلامية، وهي المجسدة لقيم الإسلام التي تعيش في وجدانها وقلبها، وإن انحرف واقع السلطة عنها؛ فقد شهدت عهود الحكم الإسلامي انحرافات تفاوتت قلة وكثرة، خطورة وتفاهة عن بعض قيم الإسلام وتقاليده، غير أن هذه الانحرافات لم تصب هذه القيم في شيء من مضمونها وإحساس الناس بها، ولا من التعبير المستمر في مدونات الفقه وكتب الفقهاء عن ضرورة الالتزام بها، وهذا في حقيقته مبعثه فاعلية الأمة وحيويتها وأن النص القرآني يحتوي على كلمة «الناس «ولكنها لا تلفت انتباه المفسرين وقد يكون لذلك سبب، ولا شك أننا نعزوه إلى أن كلمة «الناس «وردت في القرآن فالناس وإن كثروا فإنهم يعبرون عن الحصر والأقلية، بينما نجد لفظ «أمة» في كثير من آيات القرآن يدل على القدرة والقدرة وكما تشير كلمة» أمة» إلى ارتباط روحي لا يحده زمان ومكان وله طابع دائم وأبدي حتى بعد فناء العالم، فإن كلمة» شعب» تشير إلى شعب ويتخللها مرور الزمن واختفاء المكان وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الأمم، ، أختلاف الأمم، النآس.

Summary:

The nation is the vital field for establishing the foundations of Islamic idealism, and it embodies the values of Islam that live in its conscience and heart, even if the reality of power deviates from it. The eras of Islamic rule witnessed deviations of varying degrees of severity and triviality from some of the values and traditions of Islam. However, these deviations did not harm these values in any way in terms of their content or people's sense of them, nor in the continuous expression in the codes of jurisprudence and the books of jurists about the necessity of adhering to them, and this is in Its reality stems from the effectiveness and vitality of the nation, and that the Qur'anic text contains the word «people, «but it does not attract the attention of commentators, and there may be a reason for that. There is no doubt that we attribute it to the fact that the word «people «appears in the Qur'an. People, even if they are numerous, express the exclusiveness and minority, while we find the word» people. «In many verses of the Qur'an,» nation «indicates power and ability. Just as the word» nation» refers to a spiritual connection that is not limited by time and place and has a permanent and eternal character even after the annihilation of the world, the word» people» refers to a people and is permeated by the passage of time and the disappearance of place.

Keywords: The Holy Qur'an, nations, different nations, people.

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 5 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

المقدمة

لقد ترك الله تعالى للإنسان حرية اختيار الطريق الصحيح والضلال، فيبين للناس الصواب من الخطأ، ويرسل الرسل لتبشير المؤمنين بالجنة والنعيم، ولتحذير الكافرين والكافرين. ومصير الظالم هو الجحيم والعقاب شديد، فاختيارات الناس صح وخطأ إنها إرادة الله تعالى أن يكون للناس معتقدات دينية ودرجات إيمانية مختلفة، دون أن يجبرهم على اتباع طريق الهدى أو يمنعهم من الاختيار، مع أنه قادر على خلق الناس أمة إيمان وعبادة، وهو سبحانه وتعالى قادر على خلق الناس أمة إيمان وعبادة. ملائكة مرسلين مخلوقين مؤمنين لا يعتدون ولا يضلون عن الحق.

من الآيات التي تحدثت عن هذا ما يأتي: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ).

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ () وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

وكانت أمة النبي أمة يجمعها التوحيد و إن الاختلافات بين الناس أمر طبيعي، ولكن هناك أيضًا الكثير من القواسم المشتركة، ورسالة التوحيد هي التي تجمع المؤمنين معًا عبر الزمان والمكان. فالمؤمن هو أمة مطيعة لله، مؤمنة به رباً وخالقاً، وبرسله وكتبه. وعندما تنشأ الصراعات والخلافات بين الناس، فإنهم يضلون طريقهم ويصبحون فئة أخرى وأمة عاصية ومن الآيات التي تحدثت عن هذا ما يأتي: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (،) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ).

(وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (،) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

يتناول هذا البحث أحد المفاهيم القرآنية المركزية، وهو «اختلاف الأمم»، الذي يُعدّ من المواضيع البالغة الأهمية لفهم سنن الاجتماع البشري كما يصورها القرآن الكريم. وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على رؤية القرآن لظاهرة التنوع والاختلاف بين الشعوب في اللغات، والألوان، والعقائد، والثقافات، والشرائع. كما أن هذا المفهوم يشكّل قاعدة للحوار والتعارف الإنساني، ويؤسس لفهم إلهي لمسار الحضارات وتفاعلها، مما يجعل دراسته ضرورية لفهم مقاصد الشريعة في التعامل مع الآخر، ورفض النزاعات القائمة على التفوق العرقي أو الديني.

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أبرزها:

١. تحليل الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر لاختلاف الأمم، واستخلاص دلالاتها الموضوعية.

٢. بيان الحكمة الربانية من خلق الاختلاف بين الأمم من منظور قرآني.

٣. الكشف عن منهج القرآن الكريم في التعامل مع الاختلافات العقدية والثقافية بين الشعوب.

٤. إبراز البعد الإنساني والحضاري لفكرة الاختلاف كما يعرضها القرآن، بوصفه سنة كونية ومصدرًا للتعارف لا للتنازع.

٥. الرد على المفاهيم الخاطئة التي تربط بين الاختلاف وبين الصراع، من خلال استجلاء الموقف القرآني الوسطي.

ويعتمد هذا البحث على المنهج الموضوعي، الذي يقوم على تتبّع المفهوم (اختلاف الأمم) في مواضعه المختلفة في القرآن الكريم، ثم جمع الآيات ذات الصلة وتحليلها وتحقيق الربط بينها من خلال:

- المنهج الاستقرائي: لرصد جميع الآيات التي ورد فيها الحديث عن اختلاف الأمم أو التنوع البشري والديني.
- المنهج التحليلي: لتحليل الألفاظ والتراكيب والمفاهيم المتعلقة بالاختلاف، من الناحية اللغوية والتفسيرية والبلاغية.
- المنهج المقاصدي: لفهم الغاية من هذا التنوع في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

المبحث الاول: لفظ الأمة في القرآن الكريم

إن بيان الاستمرارية التاريخية الوطنية وتجاوزه للحقائق التاريخية الماضية التي تحولت إلى الواقع الذي نعيشه اليوم يرتكز على ما يلي، رغم عدم وجود مظهر منهجي (الخلافة) يجسد الاستمرارية التاريخية للبلاد [١]

* لقد سعى الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى إنشاء الدولة قبل قيام الدولة أو السلطة التي تجسد الدولة نظامياً ومؤسسياً.

*صلى الله عليه وسلم - ترك الرسول «أمة» بعد وفاته قبل الإمام الخلف، ولو لم تكن هذه الأمة موجودة لما كان هناك من يصلي بها. فوجود الإمام هو وجود منسوب أو مشتق، وتصبح الأمة أو الجماعة هي الأصل.

* «الأمة» بهذا المعنى تصبح مخزن رسالة محمد، أي الأمة هي وعاء القرآن الكريم.

ومن هذه العلاقة العضوية التي تخلق الأمة يتبين أن بقاء الأمة هو نتيجة وليس نتيجة، أي أن الأمة في القرآن تستمر ببقاء العقلاء أما اختفاء الإمام أو الخلافة فهذه مشكلة حتى لو أضعفت الدولة وقللت من فاعليتها لأن الإمام هو الرمز الملموس للدولة وممثلها وأداتها. فالاستفادة - التي لا تنكر وجودها - هي في حد ذاتها ضمانة لتجديدها..

الدولة الإسلامية هي الدولة التي تفصل بين الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحكم محتوى الإسلام كعقيدة وشريعة - دولة تعتنقه وتؤمن به كمنهج شامل للحياة لا فصل فيه بين الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يخلق دافعاً داخلياً في الدولة للعمل الجاد على تنفيذ مؤسساتها وتجسيدها على أرض الواقع. وقد عبر لويس جارديه عن هذه الأهمية عندما قال: «إن الإسلام يرى ارتباطا قويا لا ينفصم بين الدين والدولة، والجماعة والعقيدة، وهي علاقة عضوية تعتبر نفسها التزاما، تتطلب تنظيما إيجابيا مناسبا لها، وما يجسده، وبدونها يقوم النظام». [٢]

المطلب الأول: مفهوم الأمة في القرآن الكريم

وجد لفظ (الأمة (بمعنى الجماعة من الناس في قوله تعالى (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ((المؤمنون:) ٤٣ (بين لفظ) الأمة (في هذه الآية بأن كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتتقدمه كما لا يمكنها أن تتأخر عنه بحال وفي قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)) الأنعام:)

٤٢) أي أرسل الله رسلا من قبلك إلى أممهم فأمروهم بالإيمان والتوحيد والعبادة فكفروا وعصوا فأخذناهم بالشدائد من حروب ومجاعات وأمراض لعلهم يتضرعون إلينا فيرجعون إلى الإيمان بعد الكفر والتوحيد بعد الشرك والطاعة بعد العصيان ولما لم فعلوا .

وجد لفظ (الأمة (بمعنى أمة الإسلام في قوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ((ال عمران:) ١٠٤ (بين لفظ) الأمة) في هذه الآية بعباده المؤمنين بتقواه والتمسك بدينه ونهاهم عن الفرقة والاختلاف وحضهم على ذكر نعمه ليشكروها بطاعته أمرهم في هذه الآية) ولتقم منكم طائفة للدعوة إلى الله . [٣]

وفي قوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . وَلَوْ أَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ((ال عمران: (١١٠ (أي أنتم يا أمة محمد خير الأمم، لأنكم أنفع الناس للناس، روى البخاري عن أبي هريرة كنتم خير امة اخرجت للناس) قال: (خير الناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام) والآخر تذكر لفظ (الأمة) بمعنى أمة الإسلام في قوله تعالى (البقرة: ١٤٣)، (ال عمران:) ١١٣ (،) المائدة:) ٦٦).

ووجد لفظ (الأمة (بمعنى الكفار في قوله تعالى (وَقَيَّضنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ والإنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ((فصلت:) ٢٥ (بين لفظ) الأمة (في هذه الآية بوجوب عذاب إليهم في أمم مضت قبلهم من الجن والإنس وفي قوله تعالى (تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النحل:) ٦٣ (أي كانوا مشركين كافرين كأمتك والآخر تذكر لفظ) الأمة (بمعنى الكفار في قوله تعالى (النساء:) ٤١ (،) الأعراف: ٣٨٠٣٨ ((الزحرف:) ٣٣ () العنكبوت: (١٨ () الأحقاب: (١٨)،) هود: ٤٨ ٤٨)

ووجد الباحثون في القواميس العربية أن كلمة «أمة «لها معاني معجمية مختلفة، منها أن كلمة «أمة» تعني جماعة (شعب) وكلمة» أمة» تأتي أيضا من أم وإمام وهو دور نموذج وقدوة للمجتمع.

وتشير كلمة «أمة «إلى أم ومجموعة من الناس يشتركون في أصل مشترك ويجمعهم خصائص ومصالح وتطلعات موروثة، أو دين أو مكان أو زمان مشترك. ويقال: الأمة المصرية، والأمة العراقية، وغيرهما وكلمة «أمة» تعني الإنسان الذي هو مجموعة من الصفات الحميدة، وفي آيات الله تعالى أن كلمة» أمة» لها معنى آخر، وهو شعب قرون. [٤]

وكذلك كل نوع من الناس والحيوانات هو أمة، ومن المعلوم أن المعاني السياقية لها معاني لغوية يمكن فهمها بناء على بيئة مستخدم اللغة، فالكلمة الواحدة يمكن أن يكون لها معاني متعددة حسب اللغة. ولغرض المتكلم فإن كلمة «أمة» في القرآن الكريم تعني عدة معانٍ، هي: الزمان، والإمام، والقانون، والطريقة، والطريقة، والخلق العام، وكذلك أمة الإسلام والكفار وجماعة من المشركين.

وجد لفظ (الأمة (بمعنى الوقت في قوله تعالى ولَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ((هود):) ٨) بين لفظ) الأمة في هذه الآية بإرجاء العذاب إلى أوقات زمانية معدودة والساعات والأيام والشهور والأعوام.

وفي قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} (يوسف: (٤٥) أي في هذه الآية تذكر بمدة وقرأ بعضهم: «بعد أمة» أي وتذكر ما أوصاه به يوسف وهو يودعه عند باب السجن إذ قال له اذكرني عند ربك بعد حين من الزمن قرابة سبع سنوات . [٥]

ووجد لفظ (الأمة (بمعنى الإمام في قوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ((النحل:) ١٢٠) وقد بين لفظ) الأمة) في هذه الآية بأن إبراهيم إمام أو قائد جامع الخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك أي قانتا ومطيعا لربه فلا يعصى له امرا ولا نهيا ولم يك من المشركين .

و وجد لفظ (الأمة (بمعنى الشريعة والطريقة والمنهج في قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا أَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ () المائدة: ٤٨) وبين لفظ) الأمة) في هذه الآية بجماعة متفقة على شريعة واحدة لا اختلاف بينكم في عقيدة ولا في عبادة ولا قضاء.

وفي قوله تعالى (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى أَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (وقد بين لفظ (الأمة (في هذه الآية بحجة لهم إلا التقليد الأعمى لآبائهم ملة ودين أي: ليس لهم مستند. فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا و تذكر لفظ (الأمة) بمعنى الشريعة

والطريقة والمنهج في قوله تعالى البقرة: (٢١٣)، (يونس:) ١٩ () النحل: (٩٣ (،) هود (: (١١٨)، (الأنبياء: ٩٢٠٩٢) (المؤمنون: ٥٢، ٥٢) (الشورى:) ٨ (.) الزحرف:) ٢٢) .

ووجد لفظ (الأمة (بمعنى الخلق عموما في قوله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ((الأنعام:) ٣٨) بين لفظ) الأمة) في هذه الآية بأن الطائر يطير في الهواء أمم مثل الإنسان في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها .

وفي قوله تعالى كذلك أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ متاب ((الرعد: ٣٠ (وبين لفظ (الأمة) في هذه الآية إشارة عن الناس بأن الله قد أرسل الأنبياء من قبل كذلك أرسل الله محمدا امم كثيرة أيضا، فهي آخر الأمم ومحمد خاتم الأنبياء و تذكر لفظ (الأمة) بمعنى الخلق عموما في قوله تعالى (يونس:) ٤٩ () المؤمنون:) ٢٢).

ونرى أن كلمة (أمة (لها معنى القدوة والقدوة، ومعناها العام يعني أيضا جماعة من الناس، بينما المعنى السياقي لكلمة) أمة) يعني الزمن.، الأئمة، الشرائع، الطرق، الأساليب والخلق العام، الدول الإسلامية، الكفار والشعوب. [٦]

إن كلمة (عرقي) لها قيمة تربوية، منها قيمة الإيمان المتمثلة في توحيد الله عز وجل، والإخلاص له، والتوكل عليه، وطاعة الله، وغيرها، المتمثلة في أهمية إدراك القيم الأخلاقية وإتقانها. الاستفادة من الأوقات والفرص، وكذلك القيم الصادقة والعملية مثل التسامح والعدالة والصدق والجرأة والتعاون والإيثار والقوة، تنعكس في: التنفيذ العادل لحقوق الإنسان [٧]

المطلب الثاني: اختلاف الأمم عند اهل التفسير

اختلفت الاراء حول اختلاف الأمم عند اهل التفسير ومنها:

ومن تأمل تفاسير الحديث المختلفة يجد أن تفسير ابن جليل الطبري يحتل المرتبة الأولى بين جميع التفاسير، وفي أغلبها مميزات وخصائص هذا النوع من التفاسير. وكما نعلم فإن تفسير الحديث، سواء كان متواتراً أو غير متواتر، «يشمل ما جاء عن الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم «. عليه الصلاة والسلام)، من الصحابة رضي الله عنهم، من التابعين رحمهم الله، ونحو ذلك. وهذه الأربعة تدور حول تفسير» [هذا الذي أظنه موجودا في تفسير ابن

جرير الطبري، ثم المفسر الشهير ابن كثير) وهو آخر لا يقل تفسيره أهمية عن التفسير السابق. ولذلك، وقد اخترنا استخدامها كنماذج لتفسير الحديث.

يقول تعالى ذكره: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

يذهب الطبري إلى أن لفظ الأمة الوارد في هذه الآية يعني الجماعة المتفقة على دين واحد، هذا مع أنه يقبل تفسير لفظ الأمة في آيات أخر بمعنى الجماعة على وجه الإطلاق، سواء أكانوا من الناس أم للصنف من الناس، وفي ذلك يقول: «وأصل الأمة الجماعة تجتمع على دين واحد، ثم يُكتفى بالخبر عن الأمة من الخبر عن الدين لدلالتها عليه «غير أن الطبري من جهة أخرى نلفيه يورد قولا مأثورا يفيد أن المراد بقوله تعالى: {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك {- الآية، أنهما عنيا بذلك العرب، ويؤكد ما ذهب إليه بأثر حدثه به أحدهم، وذلك بإسناد منه قال فيه: «حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط عن السديّ: {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك} يعنيان العرب» في حين نجده يعقب في آخر تفسيره لهذه الآية قائلا:» وأما الأمة في هذا الموضع، فانه يعني بها الجماعة من الناس، وكأنه بتعقيبه هذا يأخذ المعنى من قوله تعالى:} وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [٨]

هذا وقد ألفينا إسماعيل بن كثير يرد على ما أورده ابن جرير الطبري، إذ يذهب إلى أن تخصيص السدّي في قصده من قوله تعالى: {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك {أنهم العرب، هذا لا ينفي من عداهم، فقال في ذلك: «والسياق إنما هو في العرب، ولهذا قال بعده: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ {الآية، والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم، وقد بعث فيهم كما قال تعالى:} هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ}، ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى:} قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}، وغير ذلك من الأدلة القاطعة»

وعن تأويل ابن جرير الطبري لقوله تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {، فهو يرى في الأمة التي خلت، المقصود بها هو نبي الله إبراهيم وأبناؤه إسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وولدهم ثم يفصل ذلك بقوله: «إن الله تعالى يقول لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى، دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله، ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية، فتضيفونها إليهم

أمة، فإنهم أمة، .. ثم يستطرد بالحديث، إلى أن يقول: ويعني بالأمة في هذا الوضع: الجماعة والقرن من الناس «وفي قوله تعالى:} كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [يقول الطبري:» كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلكم أمة وسطا... إلى أن يقول: وقد بينا أن الأمة هي القرن من الناس والصنف منهم وغيرهم» . [٩]

لكن الطبري في هذه الآية لا يتوقف عند كلمة «أمة «كما فعلنا من قبل، بل يتوقف ويتوسع كثيرا، ويتوقف هذه المرة عند كلمة «وسط»، كما نرى أنه ذكر ذلك لما وصفه الله تعالى لهم بكلمة» وسط» بسبب شفاعتهم في الدين، فلا غلو في الناس، فهم غلو شديد في إنكار النصارى ويقولون ما قاله الكلام. ولم يكن ما قالوا عن عيسى من تفريط القوم، اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكفروا بربهم، ولم يؤمنوا به. لكنهم كانوا أناسًا معتدلين، معتدلين في هذا، فوصفهم الله بهذه الطريقة، لأن الشيء المفضل عند الله هو أن يكونوا معتدلين.

وكان قبل هذا قد توقف عند المدلول اللغوي لهذا اللفظ وأورد العديد من دلالاته. ومن ذلك نذكر على سبيل المثال قوله: «وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه، أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه «وفي آخر تفسيره لهذه الآية، يؤكد القول بأن الوسط هو العدل، ذاهبا إلى ذلك مستشهدا بالأثر الذي حدثه به سلم بن جنادة ويعقوب بن إبراهيم، أنهما قالا: حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا {، قال: عدولا ولتأكيد ذلك، ودائما في هذا الشأن، نلفي ابن كثير المفسر يورد حديثا رواه عن الإمام أحمد في مسنده يقول فيه: «وحدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. قال فذلك قوله:} وكذلك جعلناكم أمة وسطا}، قال:» والوسط: العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم» . [١٠]

وفي شأن قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ {، الآية: [٢٠]، فإن كلا من الطبري وابن كثير يذهبان إلى أن أهل التأويل قد اختلفوا في معنى لفظ (الأمة (، الوارد في الآية، كما اختلفوا

في معنى لفظ (الناس) الموصوفين، بأنهم كانوا أمة واحدة، وفي ذلك يؤكد الطبري بالاستناد إلى قول بعضهم: «هم الذين كانوا بين آدم ونوح وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة الحق، فاختلفوا بعد ذلك «ثم يؤيد مذهبه هذا بقوله:» حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا ابن داود قال: حدثنا همام بن منبه عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله} كان الناس أمة واحدة فاختلفوا}.. فتأويل) الأمة) على هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، الدين.. فكان تأويل الآية على معنى قول هؤلاء: كان الناس أمة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين».

ولكون ما ذهب إليه الطبري هو عينه ما ذهب إليه ابن كثير في هذا الشأن، فإننا نلفيه يعلل مذهبه بقوله: «ولهذا قال تعالى: {وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} - الآية. أي من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض «كما نجد الطبري يقدم تأويلا آخر، مستندا فيه على أثر حدثه به محمد بن عمرو فحواه:»... كان الناس أمة واحدة» قال: آدم وهو يؤكد هذا القول معللا إياه، بكون أن الله تعالى سماه بذلك لأنه - أي آدم عليه السلام - سبب لاجتماع الأشتات من الناس على ما دعاهم إليه من اختلاف الخير، فلما كان آدم عليه السلام سببا لاجتماع من اجتمع على دينه من ولده إلى حال اختلافهم سماه بذلك أمة. [١١]

لكن الطبري لا يزال يستشهد بقول آخر يناقض هذا كله. وصدق ما يعنيه تعالى عندما قال: «إن الناس أمة واحدة ««أي أنهم ينتمون إلى دين واحد «، فبعث الله النبي. وفي هذا الصدد نرى الطبري يميل إلى الجملة الأخيرة، إذ يؤيدها بحديث سمعه من محمد بن سعيد أبيه، عن عمه، كما حدثه، عن جده. عن ابن عباس قال:» الناس أمة» قال:» هو دين، فبعث الله النبي بشيرا ونذيرا» وكذا نجد الطبري. مطمئنا في خاتمة تفسيره لهذه الآية، المبني على ما ساقه من أدلة الأمثال والأحاديث، والذي وصل إلى حد الاستطراد، كل هذا يؤدي إلى أن معنى الأمة هنا هو: الأمة. الدين الوحيد الذي يتبع دين آدم عليه السلام.

أما عن الآية التي نجد أهل التفسير بالمأثور اختلفوا فيها كثيرا من حيث دلالتها اللغوية أو التأويلية فلعلها قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} - الآية [٢٦]. إذ لم نجد آية أخرى تحوي لفظ (الأمة) قد استأثرتهم بالعناية

بها أكثر من هذه الآية. ولعل الطبري من الذين ذهبوا فيها كل مذهب، وقد يرجع ذلك عنده بالخصوص لاعتماده أكثر على عنصر الإخبار وإيراد الأحاديث والأقوال، دون أي ترجيح يمكن أن نعتبره ترجيحا نابعا من رؤيته الاجتهادية الخاصة، مقارنة بغيره - ولو بشيء من الاجتهاد - عند أهل التفسير بالرأي.

الطبري نفسه يعترف في هذه الآية أن المفسرين والمفسرين يختلفون في هذا الأمر وليس أمامه هنا خيار سوى عرض آراء الآخرين حول معنى كلمة «أمة «في هذه الآية حتى يتمكن في النهاية من قول شيء واحد فقط عنهم. ومثال ذلك إشارته إلى بعضهم هنا في مسائل الدولة: «وهم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، لا سيما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «. الصحابة الكرام، رسول الله صلى الله عليه وسلم.» واختار الطبري هذا اللفظ الذي قاله عن أسباط وسيد بن جُبَي عن ع، وهو الذي أثر هذا القول بروايات أخرى عن عمرو. ويتبع ابن حماد عن ابن عباس الذي يعرف معنى كلمة» أمة»: وهم جماعة من المهاجرين، وليس غيرهم ممن آمن في ذلك الوقت بالإسلام.

ويرى ابن قصر بحق أن كلمة «الأمة «في هذه الآية تنطبق على شعب كامل، ولكل قرن شعبه. وبالعودة إلى الطبري مرة أخرى نجد في الروايات المختلفة يذكر أنه لم يخرج عن اعتقاد ابن كثير؛ وروى الحديث المشهور قال: «حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن عطية «عن باز بن حكيم عنه، عن أبيه، عن جده: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:» لقد خدمت سبعين أمة و أنت آخرهم عند الله وهو أكرم». فقول ابن قصر، وعلى رأي الطبري، إن كلمة» الأمة» هنا لها معنى ديني، على عكس ما رأيناه فيما مضى عند الطبري، إذ تعتبر اللفظة مجرد مجموعة من الناس. - لأنه يشمل جميع أتباع النبي صلى الله عليه وسلم. سواء من البلد الذي يتصل ومن البلد الذي يجيب. [١٢]

وأما معظم الآيات الأخرى التي وردت فيها كلمة «أمة «، فإن الطبري وابن كثير يفسرونها من جهة على أنها مجموعة مطلقة من الناس، ومن جهة أخرى نخالفها ونعتبرها مرادفة لـ» أمة». وكلمة (الدين) لها معنى ديني هنا.

ومما سبق ذكره، وبعد تتبع أمثلة تفسير اللفظ عند هذين المفسرين، وخاصة آراء الطبري، نجد أنه تم التأكيد على النظر في ما ورد في معظم الآيات التي قدمناها. على كلمة «الأمة «. سابقاً كمجموعة تتفق على دين وطائفة واحدة، وفي كلمة» آخر «، بحسب هذين المفسرين،

فإن مفهوم» الأمة» بالنسبة لهم يقوم على العلاقة بين الطائفة والدين من جهة، من جهة أخرى. ومن ناحية أخرى، يقوم على العلاقة بين الطوائف والأديان. ومن ناحية أخرى، بين المجتمعات المطلقة. ومن هذه العلاقة اشتقوا مفهوما وسطا وهو أن الأمة تعني: جماعة من الناس متحدون على دين ودين. [١٣]

اما عن التفسير بالرأي وقبل أن نستعرض تفسيرات بعض المخالفين والاجتهاديين لفهم مفهوم كلمة «الأمة «وما جاء عندهم، فلا بأس أن نشير إلى أننا سنعتمد التفسير الكبير لسورة آل عمران. فخر الرازي نموذجا لما فيه من خصائص هذا النوع من التفسير، باستثناء بعض الوقفات في شرح القرطبي، إلا أنه لا يفهم من عملي تقسيم الشخص الذي شرحه إلى قسمين الذات الخارجية ويرسم خطاً بين هذين التفسيرين، فمن المعلوم أن جميع المفسرين لكتاب الله تعالى يقصدون خدمة كتابه العظيم بأعمالهم العظيمة، فيحاولون فهمه وتقريبه إلى معظم المسلمين وعامة الناس. ولذلك فإن التفسير الذي اخترناه يرتكز على منظور يرتكز على المعرفة الكافية بالعلوم المختلفة، و» لا يتعارض مع التواصل الصحيح، أو العقل السليم، أو بعض المعرفة المؤكدة الثابتة، مع تعظيم التوسع في البحث وتحري الحقيقة والصواب باجتهاد ومبالغة، وتحرم نفسك من الرغبة والاعتراف دون دليل. «والله على كل ما يقول رقيب» ونعتقد أن هذه الأركان والأركان موجودة عند الرازي والقرطبي.

وفي تفسيره للعديد من الآيات التي تحتوي على كلمة «أمة» نجد اللازي يستخدم العقل للابتعاد قدر الإمكان عن المضمون والسرد. ولذلك نراه في كل ما يفعل، يكمله بالأدلة والبراهين، ويجعل المنطق والعقل سمة تفسيراته، وكل ذلك بالطبع في حدود ما يسمح به الشرع من ثبات العقل فهو - على سبيل المثال - يذهب في الآية الكريمة: {ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك} - الآية [٣٣]، بالقول: «وأمة: قيل: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بدليل قوله: وابعث فيهم رسولا منهم».

والقرطبي في تفسيره يرى ما يراه الرازي، فهو يقول في شأن الآية الكريمة: {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك {- الآية: أي ومن ذريتنا فاجعل؛ فيقال: إنه لم يدع نبي إلا لنفسه ولأمته، إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته، ولهذه الأمة؛ كما أنه يورد قولا آخر يقول فيه: إن المراد بقوله:} ومن ذريتنا} العرب خاصة. وذريتهما العرب؛ لأنهم بنو نبت بن إسماعيل أو بنو تيم بن إسماعيل.. قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لأن دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمن من غيرهم. [١٤]

أما في شأن قوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا {- الآية [٣٧]، فإن كلا من الرازي والقرطبي، قد وقفا مطولا عند تأويل لفظ (وسطا (، بما في ذلك لفظ) أمة) كذلك. وفي هذا يذكر الرازي - على سبيل المثال لا الحصر - مسائل كثيرة في قوله تعالى:} أمة وسطا}، منها قوله: واختلفوا في تفسير الوسط، وذكروا أمورا: أحدها، أن الوسط هو العدل، والدليل عليه الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى.. فهو بعدما يأتي على الأدلة الأربعة الأولى يقول في الدليل الخامس الذي هو «المعنى»: وأما المعنى فمن وجوه: أحدها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين، ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين فكان معتدلا فاضلا.

وثانيها: إنما سمي العدل وسطا، لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين. وثالثها: لا شك أن المراد بقوله: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} طريقه المدح لهم؛ لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفا ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهودا له، ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح، فثبت أن المراد بقوله: «وسطا» ما يتعلق بالمدح في باب الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهودا إلا بكونهم عدولا، فوجب أن يكون المراد من الوسط العدالة. ورابعها: أن أعدل بقاع الشيء وسطه؛ لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوسط محمية محوطة .

أما القرطبي في مسألة الوسط فيضيف قائلا: «ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا، أي هذه الأمة لم تغلُ غلو النصارى في أنبيائهم، ولا تقصير اليهود في أنبيائهم» أما عن معنى الأمة في قوله تعالى: {كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} الآية: [٤٠]، فإن الرازي يرى في هذه الآية مسائل - وذلك بعد ما يفصل في سبب إصرار أولئك الناس على الكفر - ومن تلك المسائل يذكر المسألة الأولى قائلا فيها:» قال القفال: الأمة: القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم على بعض، وهو مأخوذ من الائتمام». [١٥]

هذا، وبعد تعقيبه على ما ذكر، يستأنف الحديث عن معنى الأمة في الآية ذاتها، ويورد في حديثه ذلك خمسة أقوال، لكل قول أوجه، فهو يقف عند تأويل معنى لفظ (الناس (عوض لفظ: (الأمة (، غير أن وقفته مع لفظ (الناس)، قد بين في دلالته معنى لفظ) أمة واحدة) الذي

تلا لفظ) الناس)، بدليل قوله: «إن المراد من الناس ههنا أهل الكتاب ممن آمن بموسى عليه السلام، وذلك لأنا بينا أن هذه الآية متعلقة بما تقدم من قوله:» {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة {، وذكرنا أن كثيرا من المفسرين زعموا أن تلك الآية نزلت في اليهود، فقوله تعالى:} كان الناس أمة واحدة}، أي كان الذين آمنوا بموسى أمة واحدة، على دين واحد، ومذهب واحد، ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد، فبعث الله النبيين وهم الذين جاؤوا بعد موسى عليه السلام، وأنزل معهم الكتاب: وهذا القول مطابق لنظم الآية، وموافق لما قبلها ولما بعدها».

وعن قوله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} فإن القرطبي يورد قولا واحدا في شأن لفظ (الأمة (قد اتفق به مع الرازي، والذي يقصد منه: الجماعة من العلماء دون سائر خلق الله، بينما نجد الرازي بالإضافة إلى ذلك، يفصل فيما يذهب إليه بصفته وجها من وجوه التعليل؛ إذ الوجه الذي اتفق به مع القرطبي في شأن معنى لفظ) الأمة) في الآية الكريمة، هو أن القائلين بهذا القول، قد اختلفوا على قولين: أحدهما أن فائدة كلمة) من) هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين. والثاني أن هذا التكليف مختص بالعلماء، ويدل عليه وجهان، الأول: أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم وبالخير وبالمعروف وبالمنكر. فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر مع من لا يزيده إنكاره إلا تماديا، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء، ولا شك أنهم بعض الأمة.

لقد تعمدنا الإتيان بهذا النص على الرغم من طول متنه ليتضح لنا مدى اجتهاد كل من الرازي والقرطبي، وطريقة تأويلهما للوصول إلى تأصيل المفهوم عن طريق التدليل العقلي والبرهنة المنطقية عندما تحتاج الضرورة إلى ذلك.

لكن هذا التخريج، وإن كان يبدو أقرب إلى الصحة، فإننا يمكن أن نعتقد بدلالة أخرى للفظ الأمة ضمن هذه الآية؛ إذ قد يكون المراد من ذلك: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، باعتبارهم كانوا قد أخذوا العلم من عنده عليه السلام، ليبلغوه إلى الناس، وعليه يَؤول التخريج إلى أن أصحاب رسول الله كانوا أمة مجتمعة على القيام بتعلم الدين وتبليغ رسالته. [١٦]

ووجه الإجمال في هذا، أن مدلول لفظ (الأمة (ههنا، إنما القصد منه عند هذين المفسرين، هم جماعة العلماء دون سواهم من عامة الناس، وذلك للأسباب التي ذكرها الرازي، والتي نراها نحن أنها أسباب يقبلها العقل، هذا مع العلم أننا رأينا أيضا أن أصحاب التفسير بالمأثور من قبل، قد قدموا أحاديث مأثورة تقر كلها بأن المقصود بلفظ) الأمة)، هم جماعة العلماء، أو أصحاب رسول الله الذين تعلموا منه، وعلموا من أتوا بعدهم.

أما بشأن قوله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} - الآية [٤٥]، فنجد القرطبي في أمر مدلول لفظ الأمة في هذه الآية، قد فصل في الكلام أكثر من كلام الرازي؛ ففي الوقت الذي اكتفى فيه الرازي بقوله: «والمعنى أنكم كنتم في اللوح المحفوظ خير الأمم، وأفضلهم، فاللائق بهذا ألا تبطلوا على أنفسكم هذه الفضيلة.. وأن تكونوا منقادين مطيعين، وفي كل ما يتوجه عليكم من التكاليف». [١٧]

أما القرطبي فيورد في تفسير هذه الآية ثلاث مسائل يمكن لأي متعرف عليها أن يستثمر منها مدلول لفظ الأمة بطريقة مباشرة لا تستدعي التخمين وإعمال الفكر. ولعل السبب في ذلك، أننا ألفينا القرطبي في ذهابه إلى تأويل هذه الآية، يذهب مذهب أهل التفسير بالمأثور، وكشاهد على ذلك، يقول القرطبي - وذلك دائما في شأن الآية السالفة الذكر -: «.. فيه ثلاث مسائل: [ونحن سنورد له مسألتين لأن المسألة الثالثة لها علاقة بتأويل الشطر الثاني من الآية الكريمة]، الأولى: روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله: {كنتم خير أمة أخرجت للناس}، قال: أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها عند الله.. وقال ابن عباس: هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وشهدوا بدرا والحديبية، وقال عمر بن الخطاب:» من فعل فعلهم كان مثلهم، وقيل: هم أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني الصالحين منهم وأهل الفضل، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة.. وقال الأخفش: يريد أهل أمة، أي خير أهل دين...».

وعن مدلول لفظ الأمة في قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} - الآية [٤٨]، فإننا نجد كلا من الرازي والقرطبي يتفقان في مدلولها، بذهابهما إلى القول بأن لفظ الأمة بمعنى الجماعة المتفقة على شريعة واحدة، ودين واحد لا اختلاف فيه، ولكن شاءت قدرته أن جعل الشرائع مختلفة، وذلك بقصد الابتلاء.

أما عن مدلول اللفظ في قوله تعالى: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [٥٠]،

فقد جاء بثلاثة معان عند القرطبي، وقد وافقه الرازي في معنى واحد، ذلك أن لفظ الأمة عند القرطبي، يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ كما يحملها معنى النفر الذين آمنوا بالدعوة الإسلامية من أهل الكتاب. هذا بالإضافة إلى معنى آخر يضيفه، وهو أن لفظ الأمة القصد منه قوم من بني إسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه، ولم يبدلوا ولم يقتلوا الأنبياء .

ومن الأسباب التي جعلت إبراهيم عليه السلام يتصف بكونه أمة واحدة في قوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، نلفي الرازي يدلل ذلك بما يلي: [١٨]

أولها: أنه كان أمة وحده لكماله في صفات الخير كقوله:

وليس على الله بمستكثر

أن يجمع العالم في واحد

ثانيها: قال مجاهد، كان مؤمنا وحده، والناس كلهم كانوا كفارا، فلهذا المعنى كان وحده أمة.

ثالثها: أن يكون أمة: فَعَلة، بمعنى مفعول كالرحلة والبغية؛ فالأمة هو الذي يؤتم به، ودليله قوله: {إني جاعلك للناس إماما}.

رابعا: أنه عليه السلام، هو السبب الذي لأجله جعلت أمته ممتازين عمن سواهم بالتوحد والدين الحق ولما جرى مجرى السبب لحصول الأمة، سماه الله تعالى بالأمة، إطلاقا لاسم المسبب على السبب.

ومما تقدم ذكره، في شأن تصور الأمة لدى أهل التفسير بالرأي والاجتهاد، فإنهم بوجه عام، قد أوّلوا التأويل نفسه الذي ذهب إليه أهل التفسير بالمأثور - على الرغم من تلك المقاربة العقلية من لدن أهل التفسير بالرأي - فكانت مفاهيمهم للفظ (الأمة) من خلال ما عرضناه من آي القرآن العظيم، تدور في معظمها حول معنى الجماعة المرتبطة بدين أو ملة، سواء كان دينا أو ملة أو شريعة مطلقا، أو خاصا بالدين الإسلامي؛ كما وجدنا الأمة عندهم، إما خاصة بجماعة الإجابة أو خاصة بجماعة الدعوة عموما.

ولا شك أن المهتمين بالشروحات الصوفية أو ما يسمى بالشروحات الإرشادية هم صوفيون أولا وقبل كل شيء، لأنهم يعتمدون على آياتهم ووحياتهم وإلهاماتهم في تفسيراتهم... وهكذا يبدأون في تفسير ما يستنبطونه من حكمة بعض ما يصادفه المرء في آيات القرآن هو بعيد عن التأويل الذي تحمله الكلمة والذي قبله في كثير من الأماكن انتشارا وفكرا. ولذلك يقبل بعض

علماء الدين هذا التفسير بشروط.

ونرى أن نوع الشرح الذي اخترناه نموذجا لهذه الدراسة (أي شرح القشيري، أي «لطيف العشرات ») قد يحقق هذه الشروط إلى حد ما يعلق الإمام القشيري على الآية الكريمة: {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون {بقوله: حالت بينكم وبينهم حواجز من القسمة؛ فهم على الفرقة والغفلة أسسوا بنيانهم، وأنتم على الزلفة والوصلة ضربتم خيامكم، وعتيق فضلنا لا يشبه طريد قهرنا» وعن قوله تعالى:} وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} - الآية [٥٨]، يقول القشيري:» فجعل هذه الأمة خيار الأمم، وجعل هذه الطائفة خيار هذه الأمة، فهم خيار الخيار فكما أن هذه الأمة شهداء على الأمم في القيامة، فهذه الطائفة هم الأُول وعليهم المدار، وهم القطب وبهم يحفظ الله جميع الأمة، وكل من قَبِلته قلوبهم فهو المقبول، ومن ردته قلوبهم فهو المردود، الحكم الصادق لفراستهم، والصحيح حكمهم، والصائب نظرهم، عصم جميع الأمة عن الاجتماع على الخطأ، وعصم هذه الطائفة عن الخطأ في النظر والحكم، والقبول والرد». [١٩]

إن دلالة الأمة عند القشيري انطلاقا مما ذهب إليه لهي بحق جماعة أهل الحقائق دون سواهم، إنهم أصفياء الله الداعون إلى الحق والقائمون عليه كما أن الأمة عنده في قوله تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير} - الآية [٦١] هي الصفة الصافية من الأمة الإسلامية، فالأمة ههنا متمثلة في أولئك القوم الذين» قاموا بالله لله، لا تأخذهم لومة لائم، ولا تقطعهم عن الله استنامة إلى علة، وقفوا جملتهم على دلالات أمره، وقصروا أنفسهم واستغرقوا أعمارهم على تحصيل رضاه، عملوا لله، ونصحوا الدين لله، ودعوا خلق الله إلى الله، فربحت تجارتهم، وما خسرت صفقتهم». [٢٠]

ومن الفيوضات الصوفية التي يعطيها الإمام القشيري للفظ الأمة في قوله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} - الآية [٦٣]، قوله:» لما كان المصطفى صلوات الله عليه أشرف الأنبياء، كانت أمته - عليه السلام - خير الأمم، ولما كانوا خير الأمم كانوا أشرف الأمم، ولما كانوا أشرف الأمم كانوا أشوق الأمم، فلما كانوا أشوق الأمم كانت أعمارهم أقصر الأعمار وخلقهم آخر الخلائق، لئلا يطول مكثهم تحت الأرض، وما حصلت خيريتهم بكثرة صلواتهم وعباداتهم، ولكن بزيادة إقبالهم، وتخصيصه إياهم، ولقد طال بالمتقدمين الباب ولكن لما خرج الإذن بالدخول تقدم المتأخرون:

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيبا .

أما تصوره للأمة في قوله تعالى: {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} فهي جماعة أولياء الله وأقطاب التصوف، وغياث الخلق، فلقد: «أجرى الحق - سبحانه - سنته بألا يخلي البسيطة من أهل لها هم الغياث، وبهم دوام الحق في الظهور، وفي معناه قالوا:

إذا لم يكن قطب

فمن ذا يديرها؟

فهدايتهم بالحق أنهم يدعون إلى الحق ويدلون على الحق، ويتحركون بالحق، ويسكنون للحق بالحق، وهم قائمون بالحق، يصرفهم الحق بالحق، أولئك هم غياث الخلق؛ بهم يسقون إذا قحطوا ويمطرون إذا أجدبوا، ويجابون إذا دعوا» .

ومما قدمناه يتبين أن كلمة «أمة» عند الإمام الكشري تعني طائفة أو جماعة مختارة في هذا البلد الإسلامي. وتصور الأمة هنا كمجموعة من أولياء الله المنتمين إلى ولاية الله تعالى. وهم قادة ومساعدون لمن عيَّنهم الله لرعايتهم. أقامهم في العبودية والمحبة والتوحيد، وهم أهل النور واليقين والوصل والألفة، والذين يختبئون تحت البساط ينتظرون الدخول إلى حضرته العليا. [٢١]

المبحث الثاني: اصول التعايش بين الأمم المختلفة

أن أسس التعايش المعتبر الذي يحكم العلاقة هو قانون القسط والعدل وأخلاقية البر والإحسان، وجاد القرآن الكريم في نصوصه بمبدأ التسامح مع الجماعات المخالفة وتتلخص صور التعايش المسلمين مع غير المسلمين في مجالين هما مختلف مجال البر والإحسان، ومختلف مكارم الأخلاق ومن ايوا التعايش بين الامم ما ورد في القران الكريم.

أولاً: حسن العشرة والمعاملة الحسنة

قال تعالى: ولا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لم يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الممتحنة: ٨] واستنبط من هذه الآية ما يدل على التعايش أن صرح النص بعدم النهي عن البر والعدل مع الجماعات المخالفة، ونفي النهي من أساليب القرآن في التخيير والإباحة.

ورخص الله تعالى في صلة الذين لم يقاتلوا المؤمنين من الكفار، وقد أقرت هذه الآية التعايش السلمي مع غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي، ولم يسبق أن عرف التاريخ كفالة الحريات

العقيدية والعبادية قبل أن يأتي الإسلام بتقريرها. وقال تعالى ولا يجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى [المائدة: ٥] ولم يخص - سبحانه - هؤلاء القوم بأناس محددين؛ فيحمل اللفظ على عمومه، ليدخل فيه أي قوم، بل لم يحدد حتى بالمسلمين، فيصدق هذا على المسلمين وغير المسلمين. [٢٢]

فقد أسس القرآن الكريم هذا المبدأ الذي هو من أخلاقيات التسامح والتعايش مع غير المسلمين أن الأمر لم يقتصر على العدل فقط وإنما يتعدى إلى البر والإحسان، قال الله تعالى ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧] وتدل الآية على أن مواصلة الذمي مباحة غير ممنوعة، وتجب له النفقة أن كان من أهلها، وفي إيجاب النفقة نوع بر، فحاز ايجابها. كما جاء في القاعدة الأصولية الفرق بين قاعدة بر أهل الذمة وبين قاعدة التودد لهم) .

ويقول البعض إن اختلاف المعتقدات الدينية لا يمنع من النفقة، التي تجب فقط على الزوجة والآباء والأجداد والأبناء وأبناء الأبناء. وأما الزوجة فإذا ذكرنا أن ذلك بالنسبة لها واجب بموجب العقد، لأنها تحتفظ بحق مقصود، لا علاقة له بالارتباط الديني، وأما غيرها فإن الأفضلية ثابتة. فالإنسان بمعناه الخاص، لأنه لا يترك إعالة نفسه بسبب الكفر. ولن يتوانى عن تقديم الدعم لطائفته إلا إذا كانوا في حالة حرب، فلا يجب على المسلمين مساعدتهم ولو كانوا ثقة لأننا ممنوعون من القيام بعمل صالح ضد من يقاتلنا بسبب دينه.

وفيما يتعلق بجواز العدل والنعم الإنسانية المقدمة لهم، بما في ذلك جواز الهدايا والصدقات وغيرها من الأعمال الأخلاقية الطيبة ورقابتها الأخلاقية الشرعية. ويؤيد ذلك ما صح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «جاءت أمي وهي مشركة في عهد قريش حين عاهدوا، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم». فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، جاءت أمي وهي راغبة، أفطلقها؟، قال: نعم، ادع لأمك. ولذلك أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لأمها مع أنها لم تكن مؤمنة بالإسلام. وفي الراوي: أهدت قتلة بنت عبد العزى دهنابًا وعقيقًا وسمنًا لابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكانت مشركة، فأبى أسماء أن تقبل هداياها أو أن تدخلها بيتها حتى أرسلت إلى عائشة تسألها. رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرته بذلك، فأمرها أن تقبل هديتها وتدخل بيتها. اللطف هو أعلى أشكال العلاج. وقد أمر الله بالرحمة في باب بر الوالدين، وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - بقوله: (البر حسن الخلق) . [٢٣]

وقد قدم القرعائي - رحمه الله - تعليقات قيمة في قواعد التعامل مع غير المسلمين، وبين ما يجوز وما لا يجوز. قال: مثلاً العاطفة الباطنة هي الإحسان إلى الضعيف، وإرضاء حال الفقير، وإطعام الجائع، وإكساء الفقراء، والرفق بهم. أظهر لهم اللطف والرحمة، ليس من باب الخوف والخجل، واحتمال إيذائهم في الحوار، والقدرة على إزالته كلطفنا بهم، وليس من باب الخوف والاحترام، وندعو لهم بالهداية ويصبحوا أناس سعداء، ينصحون في كل شؤونهم في دينهم ودنياهم، وإذا أذى منهم أحد يغيب ويحفظون أموالهم وأهلهم وأعراضهم وكل ما لهم من حقوق ومصالح. وعليهم المساعدة في رفع الظلم الواقع عليهم وإعطاء الجميع حقوقهم. إن جميع الأعمال الصالحة، أعلاها أو أدناها، والعلاقات بين الأعداء والأعداء، هي أخلاق سامية. كل ما نفعله بهم يجب أن يكون هكذا، وليس من باب الفخر والاعتزاز. ولا جلالتنا للاحترام. ويجب أن نبقي في قلوبنا بغضهم لنا وتكذيبهم لنبينا صلى الله عليه وسلم. إن جميع شرائع الإسلام تحث على السلام الحقيقي المبني على العدل، وتكفل التعايش بين الناس والشرف الوطني، وتنبذ الحرب، إلا ضرورة خلق السلام بالحرب، فإن الحرب: إذا أقيم طريق إلى السلام، كان ذلك السلام، وواحداً. من القضايا الأولى كان «إذا أردت السلام فاستعد للحرب»، ولذلك ضمنت المصالحة لجوء المعارضة إلى الإسلام.

ودعاة الإسلام موجودون في كل مكان، ولكن النهي يأتي من التودد إلى أهل ديما ومناصرتهم، كما قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ فِي الدِّينِ».

ويقوم مبدأ التعايش المقبول على عدم المساس بأي من أسس الدين كالقرآن أو السنة أو نقلهما، وعلى عدم المساس بطهارة الأم وطهارتها وعفتها وصدقها. مبدأ التعايش المقبول هو الابتعاد عن الكذب والخداع وإزالة آثار الشتائم المقززة.

ويعامل الإسلام أهل ذمة بالشريعة، التي تنص على أن لهم ما لنا، ولهم ما علينا، فيخفف عنهم التجنيد الإلزامي، ويستبدله بالجزية حتى لا يجبرهم على القتال. بلد مختلف عن بلدهم وقال عليه السلام: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»

ثانيا: الجدال بالتي هي أحسن

قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهنا وإلهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (العنكبوت: ١٤٦ ولم ينكر

أحد من الصحابة قط الجدال في طلب الحق وأما التابعون ومن بعدهم فتوسعوا في ذلك فثبت أن الجدال المحمود هو طلب الحق ونصره، وإظهار الباطل وبيان فساده، وأن الخصام بالباطل هو اللدد الذي قال النبي ﷺ: (إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الخصم). [٢٤]

ثالثا: التعايش مع الأديان الأخرى

قال تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ {البقرة:] كما أكد القرآن الكريم أن الذي أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام هدى ونور للناس قال تعالى:} إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} تدل الآيات الكريمة على أن الإسلام أنه دين يعترف بالأديان السماوية الأخرى، وأن نبي الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم قد آمن بما أنزل على موسى وعيسى مما لم يحرفه اليهود ولا النصارى فأي تعايش وتساكن واعتراف أفضل مما جاءت به الشريعة الإسلامية، وهذه أبرز سمات الدين الإسلامي ومزاياه الحميدة التي تدعو إلى العايش الأخلاقي.

والإسلام وفق أخلاقياته وسمو نظرياته إلى معايشة الأديان الأخرى والتساكن معها مهما اختلفت لأن هذا الاختلاف بين الناس أمر حتمي قضى به خالق الناس الحكمة يعلمها هو جل وعلا و يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مؤمنين) يونس ١٩٩ وهذه النصوص تدل على أن القواعد التشريعية الإسلامية في فقه العلاقات الدولية والتساكن والتعايش الأخلاقي مع غير المسلمين قد سبقت كل قواعد القانون الدولي بأربعة عشر قرناً فيما يتعلق بالعلاقات الإسلامية. [٢٥]

المطلب الاول: مقومات الأمم كما وردت في القرآن الكريم

تتكامل الأمم في عدة مقومات منها:

وينعكس تكامل الدول في عدة جوانب، منها:

١ - جماعة يهيمن عليها الإيمان بالمقومات الأساسية للدين الإسلامي أو بسلطان الإسلام، سواء كان لهذا الاعتقاد أهمية عقائدية (المسلمون (أو أهمية حضارية / ثقافية) غير المسلمين).

٢ - أن يكون لدى المجموعة فهم لكل ما يتعلق بهذه المرجعية، وأهمها الانصياع لهذه المرجعية واحترام النظام الشامل الناتج عن السلوك الفردي والجماعي، والذي ينعكس في الشريعة الإسلامية.

٣ - يسترشد جميع أفراد المجموعة بمبدأ التضامن، مما يعني أن قيم التعاطف والتعاون والألفة لها الأولوية. وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

٤ - محور الوظيفة الحضارية لهذه الجماعة التضامنية هو مفهوم «الإعلان» الذي يعني السعي إلى مراعاة هذه المرجعية في السلوك الفردي والجماعي واستخدامها كأساس لبناء النظم. وهذا الالتزام بهذا هو الطريق إلى الشهادة في الدنيا لتكونوا شهداء على قومكم ويكون الرسول عليكم شهيدا. [٢٦]

ولا يمكن فصلها عن طريق الإيمان / الرسالة، فكل قوة من قوى الدولة تنقل العقيدة / الرسالة إلى تغييرات كبيرة في الواقع والعكس، وفي جميع الأحوال تظل العقيدة / الرسالة مصدر حيوية وتجديد للأمة.

ومن حيث قوة الدين، فإن هذا الترابط بين الإيمان / الدعوة والدولة ينبع من حقيقة أساسية في الأفكار والرؤى الإسلامية، وهي أن الدولة هي الوعاء الجماعي للتجسيد الميداني للتعاليم الدينية التي يقتضيها القانون. . وفي مفهوم الإسلام ورؤيته فإن الدولة هي «حافظة الدين» وليست هي السلطة. وهي التي توجه ضدها قوانينه وأحكامه، وهي المسؤولة عن تنفيذها وتنفيذها.

ولا تتحقق قوة الدين إلا من خلال الأمة، مما يجعلها أي الأمة «قيمة عليا» ثابتة، تتجاوز حقائق تاريخية محددة أو الشكل التقليدي أو المؤسسي (الدولة أو الدولة (الذي يتجسد فيه. سلطة. ولذلك فإن مفهوم الأمة في تجربة الحضارة الإسلامية اكتسب استمرارية تاريخية مهما اتخذ من نظام أو شكل مؤسسي في السياسة. لقد حدث مرات عديدة في تاريخنا أن انهار تعبير مؤسسي أو شكل مؤسسي) الدولة أو السلطة السياسية) وملأت الدولة الفراغ الناتج عن طريق تفويض شخص ما لتولي المسؤولية السياسية. [٢٧].

حدث هذا في التاريخ القديم، كما يحدث في التاريخ الحديث: شهدنا في التاريخ القديم تراجع وصعود الدول «الإسلامية» أمام ظاهرة التحديات الخارجية البالغة الخطورة (تحدي المغول ثم الفرنجة). وعندما عجزت الإمبراطورية العثمانية - الخلافة آنذاك - عن مواجهة تهديد التوغل الغربي في العالم الإسلامي، تجلت حيوية الأمة بوضوح عندما نهضت للدفاع عن دينها.، أرضها، شرفها.

المطلب الثاني: ايات تنظيم التعايش بين الأمم

قال تعالى في أهل الكتاب قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجزيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ التوبة: ٢٩] عن يد: أي مطيعان لم يمتنعا ويطيعا: قال الشافعي رحمه الله تعالى: القصر: يسري عليهم حكم المسلمين. والحكمة من تشريع الجزية هو أن الكتاب فيه إيمان بالله تعالى، مما يفسح المجال للمسلمين للتعايش مع الله ضمن حدود وضوابط ثابتة. عقود الحماية والأمن هي إبداعات التعايش، وهذا التعايش يقوم على حرية الفكر والفكر وتقاطع الأفكار. لكن هذا التعايش لن يكون ممكناً إلا إذا تولى داعش مسؤوليته. نحن نهتم بشؤونهم، وخاصة شؤونهم المعيشية والاقتصادية، لذا لا بد من فرض ضرائب مالية خاصة لتسهيل القيام بهذه المسؤوليات. [٢٨]

وتسميتهم أهل الذمة لا يعني القدح والاحتقار، بل أهل الذمة يعني العهد والحماية لأن حقوقهم في المساواة والعدالة مصونة من الله ورسوله وعهده وميثاقه. العهد: هم بيننا وبينهم عقد يلتزم به الطرفان.

إن التاريخ هو أصدق شاهد على التعايش السلمي والمودة المتبادلة والوئام بين المسلمين وسائر أهل الكتاب، وهو ما كان سمته المميزة لسنوات عديدة.

قال تعالى {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} المائدة: [٥] فأباح الله لنا طعامهم، وأباح لنا أن نطعمهم طعامنا، فعلم من هذين الحكمين أن علة الرخصة في تناولنا طعامهم هو الحاجة إلى مخالطتهم، والطعام يحصل به التعايش، وهو كما علم وسيلة لاستبقاء الحياة ؛ لأن ذلك يقتضي شدة المخالطة معهم لتزوج نسائهم والمصاهرة معهم [٢٩].

وأما الأطعمة التي ننهي عن تناولها، فهي لا تدخل في المعنى العادي للألفاظ. قال الإمام القاساني: «إنهم يسكنون بلاد المسلمين، ويشترون ويبيعون، لأن عقد الذمة شرع وسيلة»، ويتضح من ذلك أن المسلمين في حالة تعايش سلمي أخلاقي مع الآخرين، والعلاقات مبنية على التسامح. قواعد العدالة، واحترام حقوق الأفراد، وضمان حريتهم، وتبادل المعاملات معهم.

وما يدل على التعايش بين المسلمين وغيرهم من الناس، سواء كانوا في دار الإسلام أو غيرها، هو أمر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون يعبرون عن الأمر بالعدل. في كثير من الكتب المقدسة، ويتم شرحها على النحو التالي:

أولا: الأمر بالعدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفحشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ النحل: ٩٠] فيجب تحقيق مفهوم العدالة تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً . [٣٠]

ثانيا: العدل في أداء الأمانة والحكم بالعدل: قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعدل النساء: ٥٨ .

فالعدالة حق للأعداء كما هي حق للأولياء، وقد نص القرآن الكريم على أنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى.

ثالثا: القيام بالقسط: وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ علَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُن غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فالله أولى بيما فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا النساء: ١٣٥].

فقد أتى الأمر بالعدل هنا بصيغة المبالغة: {قَوَّامِينَ ليكون الإنيان به على أكمل وجه، فهو بناء مبالغة أي: ليتكرر منكم القيام بالقسط وهو: العدل.

رابعا: الأمر لعموم المسلمين بالعدل مع غيرهم . كما ورد الأمر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالعدل مع غير المسلمين، ورد أيضا لعموم المسلمين بالعدل مع غيرهم على الرغم من الكراهية التي قد تكون بينهم، ويبين القرآن الكريم أن العدل مع غير المسلمين أقرب إلى تقوى الله عز وجل، يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ المائدة . [٣١]

فالعدالة حق للأعداء كما هي حق للأولياء، وقد نص القرآن الكريم على أنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى وبنيت علاقة المسلمين بغيرهم على قيم العدل والإحسان بالرغم من عدم إقرار العالم لهذه القيم إلا بعد قرون طويلة.

وإن الدين الإسلامي التعايش وضبط العهد والميثاق قال تعالى في كتابه الكريم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ المائدة: (١) هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين، بما يقتضيه .

خامساً: الإيمان بالوفاء بالعقود أي بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقصها، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وربه من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الإنقاص من حقوقها شيئًا، والتي بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته واتباعه والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم ووصلهم، وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه (المتقين) من القيام بحقوق الصحبة

في الغني والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق. «ومن النصوص تحريم الإسلام الإكراه في الدين، قال الله تعالى: لا إكراه في الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغي البقرة: ٢٥٦ .

وحرم على المسلم الغدر والظلم لأي طرف يتعامل معه، سواء أكان مسلماً أم كافراً والنصوص الشرعية في هذه المعاني كثيرة، منها قوله تعالى: والله لا يُحِبُّ الظَّالِمِين آل عمران ٣] والنهي عن الغدر والمثلة في القتال كذلك النهي عن قتل من لا يقتضي الجهاد في سبيل الله قتله، وهم الذين لم يشاركوا منهم في القتال كالصبيان والنساء، والقسس والرهبان المنقطعين للعبادة في صوامعهم، والشيوخ الكبار المعتزلين للمعركة.

وأن التعايش بين المسلمين وغيرهم خارج دار الإسلام قد وردت نصوص كثيرة دالة عليه نذكر منها على سبيل المثال: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وما حارب النبي - صلى الله عليه وسلم - المشركين إلا بعد أن فتنوا الناس عن دينهم، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وشردوا المؤمنين، فكان لابد من القتال ليمنعوهم من هذا الظلم، فإذا جنحوا للسلم، وامتنعوا عن الفتنة، فقد زال سبب القتال، وعاد الأمر إلى أصل السلام الذي هو أساس العلاقة الإنسانية والتعايش بين المسلمين وغيرهم .

أيضا الأمر بالحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحاب الكتب السماوية السابقة: قال تعالى {و ... وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ المصير} الشورى: ١٥] وهو مأمور بالعدل بين جميع الناس حتى وإن كانوا غير مسلمين، فسياق الأمر في الآية الكريمة يدل على الحوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب أي أصحاب الكتب السماوية السابقة لاسيما اليهود والنصارى، يوصى الله عز وجل النبي بالعدل بينهم.

الخاتمة

الإسلام هو الوسيلة الأنسب للتعايش بين الناس على اختلاف ألوانهم وثقافاتهم وأديانهم. ولكي نحقق التعايش مع الثقافات الأخرى، علينا أن نسعى للحفاظ على علاقات طيبة مع أبناء تلك الثقافات والدول، حتى تسود بيننا الصداقة والسلام والراحة والطمأنينة حتى لو عادوا إلى بلدانهم، فسوف يذكروننا بأن نعتز بأولئك الذين يعيشون معنا ويظهرون للناس من الديانات غير الإسلامية ما يقوله الله للبشرية، بما في ذلك ما يمكن أن يستخدمه الإنسان لبناء حضارة وما يستطيع أن يفعله استخدامها لبناء الحضارة.ماذا يسكن الأرض. في عالم تهيمن عليه التكنولوجيا، أصبح التعايش بين الأمم والجماعات أمرا حتميا، حيث تفرض التكنولوجيا وجود مجتمعات أخرى على كل مجتمع. إن العدل والمساواة وحسن الجوار والأمن شروط ضرورية للتفاهم والتعايش بين مختلف البشر أفراداً وجماعات.

إن بناء منهج حراك اجتماعي متعدد الأوجه يلعب بالضرورة دورا في التعايش ويغرس في أطفال المدارس الوعي بضرورة الاحترام والتعايش، ولا بد من تعزيز عملية التعليم والتعايش على كافة المستويات وخلق جو من التعايش المجتمعي هو أحد أهم أولويات البلاد، من أجل الحد من الصراعات الطائفية الموجودة في مجتمع اليوم والقضاء على الحيل التي تسهل صانعي سياسات اللجوء وإن أساس الإسلام في إقامة العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في أي حال هو الأخلاق الحميدة، وحسن السيرة، ونقل الناس إلى أماكنهم الصحيحة وأخيراً، فإننا لا ندعي أننا فهمنا كل ما قاله المفسرون عن تراثنا الإسلامي حول مفهومهم للدولة، إذ أن رصد كل ما كان يدور في أذهانهم من وجهة نظرهم فيها أمر بالغ الصعوبة كما أننا لا ندعي أننا واجهنا كل آية للدراسة تحتوي على هذه الكلمة و إن ما نقوم به الآن هو جهد متواضع لمحاولة جمع أكبر عدد ممكن من المغتربين المتفرقين في تفسيراتهم التقليدية.

وإذا تمكنا من رصد نتائج هذا العمل فإننا نلخصها فيما يلي:

١ - إن مفهوم الأمة، لأهميته، له معاني مختلفة في جميع أنحاء التراث الإسلامي، في مختلف جوانب اللغة والدين والتاريخ. على الرغم من أن المصطلح كان إشكاليا طوال الوقت، تاريخ الفكر التراثي الإسلامي.

٢ - من هذه المقدمة يتبين أن النص القرآني يحتوي على كلمة «الناس» ولكنها لا تلفت انتباه المفسرين وقد يكون لذلك سبب، ولا شك أننا نعزوه إلى أن كلمة «الناس» وردت في القرآن فالناس وإن كثروا فإنهم يعبرون عن الحصر والأقلية، بينما نجد لفظ «أمة» في كثير من آيات القرآن يدل على القدرة والقدرة وكما تشير كلمة «أمة» إلى ارتباط روحي لا يحده زمان ومكان وله طابع دائم وأبدي حتى بعد فناء العالم، فإن كلمة «شعب» تشير إلى شعب ويتخللها مرور الزمن واختفاء المكان.

٣ - عندما ننظر إلى التراث الإسلامي في شرح مفهوم الأمة نجد أنهم يجدون صعوبة في تحديد المفهوم الكامل لهذا المصطلح، والسبب في اعتقادنا هو عدم وجود نص واضح من الخطاب القرآني نفسه. الذي يحدد معنى كلمة الأمة إلا أن بعض مفسريهم قد انتبهوا لهذه المشكلة وحاولوا حلها بطرق مختلفة، معتمدين تارة على التواصل والعقل وتارة أخرى، بالإضافة إلى العلم، وهو ما يفعله المفسرون الصوفيون. لكن عملهم على هذا النحو لم يكن صارماً في وضوحه، لذلك لم يختف الغموض والغموض الذي صاحب استخدام الكلمة، وما رأيناه اتفاقاً جماعياً كان رؤيتهم للبلد، والمسار الذي اتفقوا عليه والمجموعات حوله وهذا ما يجعلهم في هذه الحالة يقدمون معنى الطريقة على معنى الجماعة في كثير من الفقه والتفسير، مما يجعل الجماعة فريدة ومشهورة بالمنهج الذي تتبعه وقد اعتدنا عند أهل التفسير الصوفي على مفاهيم في الاتجاه الآخر، وهو التطبيع وليس التعميم. وهذه الدولة كما نعرفها هي البديل الوحيد للدولة الإسلامية، وهم خاضعون لأولياءه المعروفين بقطب وغيات وأهل النور والوصل والألفة.

المقترحات:

- التركيز على النصوص القرآنية والدعوة إلى ثقافة التسامح وتناول سياسة التعايش السلمي مع الآخرين في الدورات التعليمية.

- يبني المسلمون علاقات مع الآخرين في أرض الإسلام، في الرعاية وفي الخارج، وفي الدعوة، وبذلك نبرر خطابنا للعالم. وفي علاقاتنا مع الآخرين نبين لهم أن الإسلام يحتضن جميع البشر.

- إرساء العدل بين الناس وتحقيق المؤسسات الديمقراطية، وإتاحة الفرص لكافة قطاعات المجتمع المدني لعرض مشاريعها الإصلاحية على المواطنين من أجل اختيار الخيار الأفضل.

قائمة المصادر

١. تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: - (المتوفى: ٧٧٤هـ (المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ٥ / ١٨٦).

٢. ينظر مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ١٣٣ ١٣٥

٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأوَّلى - ١٤١٢ ص ١٧٩ .

٤. التعريفات الفقهية محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) الطبعة: الأوَّلى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٧٠.

٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأوَّلى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٥١، وهداية الراغبين، عبد الحافظ بن علي الصعيدي المالكي الازهري من علماء القرن الثالث عشر الهجري، ص ٥ - ٦.

٦. تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - بو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - (المتوفى: ٥٤٢هـ (المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأوَّلى - ١٤٢٢ هـ) ١ / ٥٠٧).

٧. تفسير الماوردي - النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي: (المتوفى: ٤٥٠هـ (تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان) ٣ / ٤٦٨).

٨. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٣ / ٢٤٢) .

٩. تفسير القران العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي - (المتوفى: ٣٩٩هـ (تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز - ط الفاروق الحديثة - مصر - الطبعة: الأوَّلى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ٣ / ٢٠٤).

١٠. تفسير الراغب الأصفهاني - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: (المتوفى: ٥٠٢هـ (كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأوَّلى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ٣ / ٩٩٦).

١١. جوامع الدعاء - د. خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي تقديم: العلامة الشيخ د. عبد الله بن عبد الرحمن (ص: ٣٧).

١٢. حسن لغيره، أخرجه أحمد في المسند (١٦٦١ (بسند ضعيف، وله شاهد من حديث أبي هريرة عندَ ابن حبان (٤١٦٣ (، وآخر من حديث أنس بن مالك عند البزار) ١٤٦٣) و) ١٤٧٣)، وأبي نعيم في «الحلية» ٦ / ٣٠٨ وسنده ضعيف، وثالث عن عبد الرحمن بن حَسَنة نسبه الهيثمي في «المجمع» ٤ / ٣٠٦ إلى الطبراني، وسنده ضعيف أيضاً، فالحديث يتقوى بهذه الشواهد.

١٣. فتح القدير للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني: (المتوفى: ١٢٥٠هـ (- ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأوَّلى - ١٤١٤ هـ) ٣ / ٤٩٧).

١٤. عون المعبود ص ٤٤٦، تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ (- ط مكتبة الحلبي بمصر الطبعة الأوَّلى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م) ١٧ / ٦٥).

١٥. تفسير الرازي ص ٣٣٣، و أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: (المتوفى: ١٣٩٣هـ (- دار الفكر، بيروت – لبنان - سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م) ٤ / ٢٤٤).

١٦. التحرير والتنوير - «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: (المتوفى: ١٣٩٣هـ (الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ هـ) ١٧ / ١٣٣) .

١٧. تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر (١٨ / ٥١٨).

١٨. اسناده حسن، وأخرجه مختصراً الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٦٥٦)، والطبراني فـ«الدعاء» (١٢٤)، والحاكم ٥ / ٥٠١ و٢ / ٣٨٢ - ٣٨٣ من طريق محمد بن يوسف، والبزار (٣١٥٠ - كشف الأستار) من طريق أبي أحمد، والبيهقي في «الشعب» (٦٢٠) من طريق محمد بن عبيد الطنافسي، ثلاثتهم عن يونس بن أبي إسحاق، به. وصحح الحاكم إسناده، ووافقه الذهبي.

١٩. فتح البيان في مقاصد القرآن - أبوالطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي: (المتوفى: ١٣٠٧هـ (عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري - ط المَكتبة العصريَّة، صَيدَا - بَيروت ط سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ٨ / ٣٦٥).

٢٠. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، دار السلام – القاهرة - ط الأوَّلى - ١٤٢٨ هـ (ص: ١٣).

٢١. تفسير الرازي - مفاتيح الغيب - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ (دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ) ٢٢ / ١٧٨).

٢٢. خرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وغيره من رواية ابن عمر رضي الله عتهما كما نص القرطبي في تفسيره الجزء ١١ ولم اعثر عليه.

٢٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: - محيي السنة، (المتوفى: ٥١٠هـ (- حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم==الحرش - دار طيبة – الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٥ / ٣٤٨) الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ٥ / ٣٤٨).

٢٤. معنى الإيمان في كلام الشرع - دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي المكتبة الشاملة الحديثة، ص٤ وص ٩.

٢٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج ١ / ص ١٤٩.

٢٦. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى القارئ تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ص١٦٠ - ١٦١.

٢٧. موسوعة أخلاق القرآن: الدكتور احمد الشرباصي، ط ١, دار الرائد العربية، بيروت – لبنان, ١٩٧١, ج١ / ص١٦٥.

٢٨. جامع الأصول في الأوَّلياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد / للشيخ احمد ضياء الدين الكمشخانلي النقشبندي العجدري الخالدي، ط١, مطبعة الجمالية, ١٣٣٨ هـ مصر, ١٧٥.

٢٩. نجدة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي، مكتبة لبنان – بيروت، ص٢١٨.

٣٠. إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي أبي حامد: دار المعرفة – بيروت: ج٤ / ص١٥٥.

٣١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج ١ / ص ١٤٩.